نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئًا من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف[١].

في الفقر نِعم

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فزعت من الفقر قط، طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد[٢].

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغني أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى لو صح منك النظر
إنك تعصي لتنال الغنى ... وليس تعصى كي تفتقر

وقال ابن بشار: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ليلة ليس لنا ما نفطر عليه فقال: يا ابن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا صدقة ولا صلة رحم لا تغتم فرزق الله سيأتيك، نحن والله الملوك

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٨)، نقلًا عن صفحات من صبر العلماء ص (٢٢٤-٢٢٥).
(٢) «السير» (١٠/ ٩٧).

الأغنياء تعجلنا الراحة لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله، ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين[1].

ولله در الشافعي حينما دخل مسجدًا وهو غريب فلم يعرفه أحد فقال يعزى نفسه:

على ثياب لو يباع جميعها بفلس ... كان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس بمثلها ... جميع الورى كانت أجل وأكبرا
فما ضَرَّ السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبًا حيث وجَّهته فرى

بصدق الدعاء يكون الرزق

ذكر التنوخي في «الفرج بعد الشدة» عن المدائني قال: نزلت بحيٍّ من كلب نجد بين قد توالت عليهم السنون - القحط - فماتت المواشي ومنعت الأرض إخراج النبات، وأمسكت السماء قطرها،

(١) «السير» للذهبي (٧/ ٣٩٤)، وليس مثل هذا المشهد دعوة إلى الفقر بل دعوة إلى الثقة مع الأخذ بالأسباب فخذ بالسبب، وقد تكفل لك ربك بحصول الرزق.

فجعلت أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة حتى تطبق الأرض فيتشوف لها أهل الحي ويرفعون أصواتهم بالتكبير لعلها تنزل عليهم الماء لكنها تمر دون أن تمطرهم فلما كثر ذلك عليهم خرجت امرأة عجوز فصعدت على مكان مرتفع من الأرض ونادت بأعلى صوتها متضرعة باكية: يا ذا العرش العظيم، اصنع بنا كيف تشاء فإن أرزاقنا عليك فما نزلت من موضعها حتى تغيمت السماء غيمًا شديدًا وأمطروا مطرًا كاد أن يغرقهم وأنا حاضر.

سبحان من أشبع من جوع وروى من ظمأ وحفظ من كيد. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كل شيءٍ بأمره، ولا يقع في الكون أمر إلا بإذنه، فاللهم يا غني يا كريم وسِّع أرزاق المسلمين بالحلال وانصرهم على عدوك وعدوهم.

الرزق الطيب

في عام ١٣٧٦ هـ ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر يريدون اصطياد السمك ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يحصلوا إلا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الخمس صلوات،

وكان إلى جانبهم مجموعة أخرى لا يسجدون لله سجدة ولا يصلون لله صلاة، وإذا هم يصيدون ويحصلون على طلبهم من هذا البحر فقال بعض هؤلاء: سبحان الله نحن نصلي لله عَزَّوَجَلَّ كل صلاة وما حصلنا على شيء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم كثير فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر ثم صلاة العصر، وبعد العصر أتوا إلى البحر صادوا سمكة فأخرجوها وبقروا بطنها فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة فأخذها أحدهم بيده وقلبها ونظر إليها وقال: سبحان الله لما أطعنا الله ما حصلنا عليها ولما عصيناه حصلنا عليها إن هذا الرزق فيه نظر.

ثم أخذ اللولؤة ورمى بها في البحر وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذي عصينا الله فيه فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك في خيمتهم، ثم اقتربوا من البحر مرة أخرى فصادوا سمكة فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة في بطن تلك السمكة فقالوا:

الحمد لله الذي رزقنا رزقًا طيبًا وذلك بعد أن بدوءوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه فأخذوا تلك اللؤلؤة[١]. وهذا أحد الفضلاء العُباد كان بأهله في الصحراء في جهة البادية، وكان رجلًا عابدًا قانتًا منيبًا ذاكرًا قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا، وذهبت التمس الماء لأهلي فوجدت أن الغدير قد جف فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ واحتاج أطفالي إلى الماء فتذكرت رب العزة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو قريب مجيب فقمت فتيممت واستقبلت القبلة، وصليت ركعتين ثم رفعت يدي وبكيت وسالت دموعي وسألت الله بإلحاح، وتذكرت قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، والله ما هو إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم إذ بسحابة قد توسطت مكاني ومنزلي في الصحراء واحتكمت على المكان ثم نزل ماؤها، فملأت

(١) «لا تحزن» ص (٤٥٢-٤٥٣) ط. العبيكان.

الغدران من حولنا وعن يميننا ويسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضأنا، وحمدنا الله سبحانه وتعالى ثم ارتحلت قليلًا خلف هذا المكان وإذا الجدب والقحط فقلت: إن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله عَزَّوَجَلَّ. إنه لابد أن نلح على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يصلح الأنفس ولا يرزق ولا يهدي ولا يوفق ولا يثبت ولا يعين ولا يغيث إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[1].

رزق ربك خير وأبقى

سمعت أحد العلماء يقول: إن رجلًا فقيرًا كان عمله في «مبولة» أي دورة مياه رجال وعندما جاء موعد اختياره لكي يثبت في هذه الوظيفة ويتقاضى عليها راتبًا حكوميًا شهريًا طلبت منه شهادة محو أمية فما استطاع الحصول عليها بعد محاولات كثيرة وامتحانات عديدة وعندما عجز عن ذلك عُيِّن رجل آخر مكانه فحزن الرجل حزنًا شديدًا وازداد فقره وألمه، وظل يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ويتضرع إليه بأن يوسع عليه رزقه وبعد أن أغلقت أمامه جميع

(١) المصدر السابق ص [٤٤٥].

الأبـواب ولم يجد إلا باب ربه عَزَّوَجَلَّ وصدق في اللجوء إليه عندئذٍ خطـرت له فكرة أن يشـتري بعض التسـالي: سـوداني، وحلوى، ولب، وغير ذلك ثم يضعها على لوح خشـبي في الشـارع ويجلس ليبيـع منهـا، وفعلًا نفذ ذلك وقام به وأخذ يتاجر في هذه الأشـياء الضئيلـة الزهيـدة وإذا بربحه يزداد يومًا بعد يـوم وكثر ماله حتى جمع بعد مدة مالًا استطاع به أن يستأجر دكانًا جعل منه مقلاة لبيع هذه الأشـياء بطريقة أوسـع، وفتحت له أبواب الرزق شيئًا فشيئًا حتى صار ثريًا من الأثرياء وغنيًا من الأغنياء وصار لديه عمارات وسيارات وعقارات فسبحان من رزقه ووسع عليه!

وفي هذا الصدد أذكر هذا المشـهد الذي سمعته وقرأته وهو يتلخـص في أن رجلًا من الصالحين أخذ إلى السـجن ظلمًا وزورًا، ولم يكن لأسرته من يرعاها وينفق عليها، ولما أنفقت زوجته كل ما لديها ازداد فقرهم وحاجتهم فاضطرت لبيع أثاث المنزل للإنفاق عـلى أطفالهـا، ولما نفد مـا معها من مال أرسـلت ولدهـا بقروش معدنيـة لشراء فـول للإفطار فأخـذ الطفل هـذه القروش ومضى

ووقعت كارثة كبيرة لهذا الطفل إنه فقد هذه القروش وسقطت منه وهذه بالنسبة له كارثة لأنهم لا يمتلكون حينئذٍ غيرها ولما بحث عنها ولم يجدها بكى بكاء شديدًا فمر به بائع الفول بعربته المعروفة فسأله عن سبب بكائه، فأخبره بحالهم وماهم فيه من شظف وفقر بسبب حبس والده وأخبره بسقوط هذه القروش منه وأنهم لا يملكون غيرها فقال له: لا عليك يا بني خذ مني كل يوم ما يكفي أسرتك وسوف أحاسب والدك إذا خرج من السجن، ثم أخذه من يده إلى البقال فأخبره بحاله فقال البقال للطفل مثل ما قال هذا البائع الأول حتى فرج الله عنهم ووسع عليهم في الرزق إلى أن خرج أبوه، بل إنه قد مرضت في هذه الأثناء طفلة ولم تستطع أمها أن تعالجها بشيء سوى الماء البارد على الرأس، ولما اشتدت الحرارة لدى هذه الصغيرة إذ بالباب يطرق، من؟ قال: الطبيب فتحت الباب ووقَّع الطبيب الكشف الطبي عليها وكتب لها الدواء ولما انتهى من عمله وقف ينتظر الأجر المالي ولكن

المرأة لا تملك من المال شيئًا فاعتذرت إليه فصرخ فيها غاضبًا كيف تخرجيني من بيتي في هذه الساعة المتأخرة من الليل وأنت لا تملكين ثمن الكشف؟! قالت: أنا ما اتصلت بك ولا كلمتك وليس لدينا تليفون فقال: أليس هذا بيت فلان؟! قالت: لا بل هو البيت المجاور لنا ولما أخبرته بحالهم أسرع وأحضر الدواء من ماله الخاص حتى شفيت تلك الصغيرة. وكم في الناس من مثل هذا الكثير والكثير ومالا يحصيه إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ.

من عجائب الأخبار

أورد ابن خلكان في وفيات الأعيان أن بابشاذ النحوي كان يومًا في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس فحضرهم قط فرموا له لقمة، فأخذها في فمه وغاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر ففعل ذلك وتردد مرارًا وهم يرمون له وهو يأخذ ويغيب به ثم يعود من فوره حتى عجبوا منه، فلما استرابوا في الأمر تبعوه، فوجدوه يرقى إلى حائط في سطح الجامع ثم ينزل

إلى موضع خال في بيت خرب وفيه قط آخر أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكل[١].

ويقول الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرني الشيخ عبد الحميد عباس -وهو رجل فاضل لا يتهم على خبر- قال: وقع لامرأة من جماعة النخاولة كانت تسير في طريق بضواحي قباء فانخسف تحتها «دبل» وهو مجرى الماء في قناة تحت الأرض فسقطت، وسحبها الماء إلى جانبه، وأمسكت بحجر وجلست عليه، ومكثت أربعة أيام ومرَّ شخص في ذلك المكان، فسمع صوتًا فنزل وأخرجها، ثم سألها أهلها كيف كنت تعيشين؟ فقالت: إن طاسة الحليب التي كنت أعطيها للعجائز كانت تأتيني كل يوم، وكانت هذه المرأة عندها غنم ولها جيران نسوة عجائز، فكانت تعطيهن طاسة حليب من غنمها[٢].

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٥١٦) نقلًا عن «المنهاج الأسنى» (١/ ٣٨٣).

(٢) «في ظلال عرش الرحمن» ص [١٨٩]، ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله (٢/ ٦٣-٦٤).

طفل في صحراء

خرجت أسرة في رحلة برية وأثناء جلوس العائلة لتناول الطعام بعد صلاة العصر وبينما هم منهمكون في أكلهم تسلل طفل صغير من بين إبطي اثنين من الجالسين على الأكل وأخذ يأكل معهم استغرب الجميع واندهشوا وقالوا: من هذا الطفل؟ فهم لا يعلمون من أين خرج عليهم وأخذوا يتساءلون فيما بينهم: من أين هذا الطفل؟ ومن أهله؟ والطفل منهمك في الأكل بشراهة عطفت عليه الجدة وأطعمته جيدًا ولما دخل الليل وأرادوا الانصراف ورأوا أنه لم يأت أحدٌ لأخذ الطفل أرادت الجدة أن تحمله معهم فخافوا أن يكون جنيًّا وقالوا: ولو كان إنسيًّا قد يبحث عنه أهله فعلهم يجدونه هنا، فانصرفوا واتفقوا على إبلاغ الشرطة عن هذا الأمر بسرعة فانتقلت الشرطة سريعًا إلى هذا المكان وأخذوا الطفل وبحثوا عن أهله في دروب الصحراء وطرقها فعثروا على سيارة قد انقلبت منذ أيام فيها رجل وامرأة قد ماتا وكان هذا الطفل معهما فلم يمت فأخذوا الطفل وسلموه

إلى أهله من الأعمام أو الأخوال[١]. فسبحان الله من حفظه ورعاه ورزقه في هذه الصحراء المهلكة.

إذا كانت الأرزاق مقدرة فكيف تزداد إذًا؟

وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث يوهم ظاهرها التعارض ولا تعارض وهذه الأحاديث منها ما يثبت أن الأجل مكتوب مقدر لا يزيد ولا ينقص وكذلك الرزق ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكًا يقول: يارب نطفة، يارب علقة، يارب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: ذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه**»[٢].

ومنها: ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي

(١) «موسوعة القصص الواقعية» لمصطفى كامل (٤٨٩- ٤٩٠)، ط. العالمية.
(٢) رواه البخاري برقم [٣١٢]، ومسلم برقم [٢٦٤٦].